احمد صالح غالب الفقيه*

«نيوستيتسمان» البريطانية: الحرب مؤامرة ثلاثية بين أمريكا وإسرائيل وبريطانيا أعدت منذ سنة

استراتيجية حزب الله العسكرية

■ الجيش الإسرائيلي البري جيش حديث محمول، مجهز بآليات وناقلات جنود متطورة، وحتى مدافعه كلها هي من النوع الذاتي الحركة. ومثل هذا الجيش قادر على قطع مسافات طويلة في وقت قصير، وفي العادة عمد القادة الإسرائيليون في الحروب السابقة مع العرب، إلى اختراق الجبهات، وتجاوز العوائق، ثم ترك قوات للتعامل معها بعد أن تكون خطوط امداداتها قد قطعت، نتيجة لتقدم الجيش المهاجم، وتجاوزه لها إلى ما وراء خطوطها الخلفية. ولتحقيق ذلك تحتاج فرق المدرعات والمشاة الراكبة، إلى مساحات مفتوحة وشاسعة، يمكن لها أن تتحرك فيها بسهولة، لتمارس مناورات الاختراق والالتفاف والحصار. وقد أدركت قيادة حزب الله ذلك جيداً، ودرست مميزات الجيش الإسرائيلي، وطبيعة الأرض، وبنت خطتها على العمل على الحد من حرية الحركة أمام فرق الآليات الإسرائيلية، وعدم السماح لها بالخروج إلى حيث يمكنها ممارسة مناوراتها العسكرية بحرية. وقد أشار السيد حسن نصرالله في آخر خطبه المتلفزة في الأسبوع الماضي إلى بعض ملامح خطته.

القربة والسدادة

يمكن تشبيه شكل خريطة فلسطين المحتلة، بشكل قربة من جلد الماعز، من النوع الذي اعتاد أهل الأرياف عندنا استعماله لجلب الماء، أو حفظ بعض المواد. وللقربة فوهة تشبه تماماً حدود الأرض المحتلة (إسرائيل) مع لبنان. ويبلغ طول هذه الحدود من الناقورة إلى كفركلا من الغرب إلى الشرق حوالي 50 كيلومتراً، تطل كلها على مناطق وعرة مليئة بالتلال والوهاد. ولذلك فإن كل المداخل إلى جنوب لبنان صعبة المسالك، وهو ما يجعل مجال المناورة للآليات والمدرعات صعباً؛ فعليها أن تمر في أرتال واحدة تلو الآخرى على طرق ضيقة على حواف التلال. وقد تمكن حزب الله خلال السنوات الست الماضية منذ طرده لإسرائيل من جنوب لبنان في العام 2000، من بناء شبكة من الأنفاق والمخابئ البرميلية، ونقاط الرمي الموهة جيداً، بحيث تحمي المقاتلين من الغارات الجوية، والقصف المدفعي، وتوفر لهم مخابئ يمكن الانسحاب إليها، والبروز منها بسرعة. إضافة إلى كونها مخازن لأسلحتهم وذخائرهم. وهذه الشبكة تبلغ نقاطها الآلاف. وهي مموهة جيداً بحيث يصعب كشفها وملاحظتها.

وبذلك تحولت هذه الخطوط الدفاعية إلى ما يشبه السدادة لفوهة القربة، بحيث تتحكم في كل ما يتدفق منها وسرعته وكميته. وفي هذه الحرب ما أن يتحرك رتل من الدبابات من الأرض المحتلة نحو لبنان حتى يقوم رجال الله بقصف الدبابة الأولى وتعطيلها أو تفجيرها فيتوقف الرتل كله ثم يتم بعد ذلك التعامل مع بقية الرتل الذي يسارع في التراجع والفرار.

وكثيراً ما يضطر الإسرائيليون إلى إرسال جنود المشاة أمام الدبابات بدلاً من العكس لتصفية جيوب المقاومين الأمر الذي يوقعهم في كمائن كبدت الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة.

والخطة التي اعتمدها حزب الله تبدو في بعض جوانبها مخالفة لقواعد حرب العصابات التي تقول بعدم التمسك بجبهات ثابتة واعتماد عمليات الكر والفر أمام القوات المعادية المتفوقة عليها عدداً وعدة، ولكن حزب الله تمكن من الجمع بين الحسنيين، ذلك أن شبكة المخابئ التي أنشأها مكنته من التمسك بمواقع دفاعية شبه ثابتة في الوقت الذي مكنته أيضاً من ممارسة حرب عصابات كلاسيكية قائمة على الكر والفر. وهي خطط ستدرس ولاشك في الكليات العسكرية في العالم كله. وعلى الرغم من أن إسرائيل دفعت إلى حدودها مع لبنان بسبع فرق من الجيش تضم واحداً وعشرين لواء إلا أنها لم تتمكن بسبب السدادة التي شكلها حزب الله على الحدود من استخدام أكثر من سبعة ألوية فقط في الحرب الدائرة هناك حتى هذا اليوم الخامس والعشرين من المواجهة بسبب ضيق المساحة المتاحة لها للحركة الأمر الذي أدى إلى تعطيل ثلثي قوات الجيش الإسرائيلي المحتشدة على الحدود. وتقاتل القوات الإسرائيلية الآن على امتداد الخط الأزرق الذي يشكل خط الحدود بين لبنان وفلسطين المحتلة وبعمق يتراوح بين عشرات الأمتار وكيلومترين كحد أقصى تضم سبعاً وعشرين قرية لبنانية لم تتمكن القوات الإسرائيلية من السيطرة على أي منها بصورة تامة. ففي يوم الجمعة الماضي وهو اليوم الرابع والعشرون للحرب كانت مارون الراس وهي أول قرية تقدم إليها الإسرائيليون في بداية الحرب تتلقى فيها القوات الإسرائيلية ضربات المقاومة حيث حطمت لها دبابة هناك.

وبالمثل قام حزب الله ببناء شبكة صاروخية كبيرة وواسعة، وفر لها عشرات الآلاف من الصواريخ، ومئات من منصات الإطلاق الموزعة في أنحاء لبنان، وفقاً لحساب دقيق، وتخطيط محكم. وتمكن من إخفائها وتمويهها، وبناها بسرية تامة اشتهرت عنه في كل جوانب عمله وبنيته. ولذلك أصبح عصياً على القصف الجوي والصاروخي. وحقق توازنا استراتيجيا مع العدو، على الرغم من فارق القوة النارية.

الخسائر الإسرائيلية

طبقا لتقارير (سي ان ان)، فان حزب الله أطلق منذ بدء المواجهات أكثر من 2000 صاروخ على أكثر من 60 مدينة وبلدة ومستعمرة في شمال إسرائيل ووسطها.

ووفقاً لإحصاءات الشرطة الإسرائيلية فإن 5500 منزل وعشرات المصانع والمؤسسات التجارية تضررت في شكل جدي بالقصف الصاروخي، بينما دمر مئتا منزل تدميراً كاملاً و30 مؤسسة تجارية و20 مصنعاً، كما أصابت الصواريخ نحو 500 سيارة، وقدرت هذه الأضرار بأكثر من 220 مليون دولار. وتسببت الصواريخ أيضاً في العديد من حرائق الغابات في شمال إسرائيل وتدمير مئات الآلاف من الأشجار، فضلاً عن نحو 700 هكتار من الأراضي.

أما الخسائر الاقتصادية فتقدر بمليارات الدولارات، إذ أن الخسائر الاقتصادية المباشرة تصل إلى 250 مليون دولار يومياً، بينما تبلغ التكلفة العسكرية للحرب ما بين 30 إلى 50 مليون دولار يومياً. ويشكل قطاع الخدمات 69 % من الناتج المحلي الإجمالي لإسرائيل البالغ 140 مليار دولار وتشكل السياحة حوالي 60 % من قطاع الخدمات وقد توقفت السياحة بالكامل نتيجة للحرب.

واستهدفت صواريخ حزب الله مواقع عدة للجيش الإسرائيلي، منها: مقر قيادة المنطقة العسكرية الشمالية في صفد، ومقر قيادة اللواء الغربي الواقع في مستعمرة الشومرة، وقاعدة سلاح الجو الرئيسية في المنطقة الشمالية الواقعة في رامات ديفيد، وقاعدة عين زيتيم قرب صفد (وهي قاعدة تخزين أسلحة ومجمع آليات عسكرية كبيرة)، وموقع سرغا العسكري قرب عكا، ومطار روش بينا العسكري، ومقر قيادة العمليات الجوية في جبل ميرون ومواقع أخرى.

وخسر الجيش الإسرائيلي خلال المجابهات مع حزب الله عدداً كبيرا من دبابات «ميركافا»، وناقلات جنود مدرعة، وجرافات عملاقة عسكرية من نوع «د-9»، وسقوط طائرات استطلاع بدون طيار، وتحطم ثلاث طائرات مروحية من نوع «أباتشي»، وإصابة البارجة الحربية من نوع «ساعر -5» بأضرار متوسطة وبارجة من نوع ساعر 4,5 لم يعترف باصابتها. أما بالنسبة للقتلى والجرحى فإن هناك تعتيماً كبيراً من قبل إسرائيل ويقدر الخبراء أن الأرقام المعلنة يمكن ضربها في 5 أو 7 للوصول إلى الأرقام الحقيقية، سواءً في الوسط المدني أو العسكري.

استراتيجية إسرائيل العسكرية

في مقالة لي في «الشورى» بتاريخ 2001/7/15 بعنوان (السير على أنياب الأفاعي) وكانت الانتفاضة الفلسطينية الثانية في أوجها، كتبت أقول: «تبدو استراتيجية حزب الله في جنوب لبنان في غاية الخطورة في الوقت الحاضر، إذ أن الحزب يستند إلى تصور أن الإسرائيليين لن يجرؤوا الهجوم على لبنان خوفاً من المقاومة، ولكن هذه الحسابات تغفل تجربة حرب كوسوفو التي تم فيها استخدام القوة الجوية ضد الصرب حيث أنهيت الحرب دون تدخل بري، وهو ما يمكن لإسرائيل أن تكرره ضد لبنان وسورية نظراً لتفوقها الجوي الكبير». وقدرت أن إسرائيل قد تهرب إلى الأمام وتهاجم جيرانها. وبالفعل كانت الحرب الحالية التي شنتها إسرائيل على لبنان، تستمد استراتيجيتها من تجربة حلف الأطلسي في كوسوفو وحربه الجوية هناك. وقد قامت إسرائيل بالفعل بقصف سلسلة واسعة من الأهداف في لبنان، شملت البنية التحتية للبنان، والبنية التحتية الظاهرة لحزب الله، ثم امتد القصف ليشمل كل المدن والقرى والأحياء التي يسكنها الشيعة في لبنان.

يخضع القصف الجوي الاستراتيجي لقانون (الغلة المتناقصة)، وهو قانون اقتصادي يساعد على تحديد النقطة التي يكون فيها أي استثمار إضافي في زيادة الإنتاج أو التسويق غير ذي جدوى. وهو يستخدم عسكرياً في عمليات القصف الجوي، لتحديد النقطة التي لا يكون فيها للغارات الجوية أي مردود، بسبب استنزاف قائمة الأهداف الظاهرة وضربها جميعها. أما القصف الجوي التكتيكي فيظل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحركة وعمليات القوات الجوية والبحرية وهو يقدم الإسناد لهذه القوات كلما اشتبكت مع قوات الخصم.

وفي الحرب اللبنانية الحالية استنزفت القوات الجوية الإسرائيلية قائمة الأهداف فيما يتعلق بالقصف الإستراتيجي، ولم يبق أمامها إلا أهداف مدنية خارج المناطق الشيعية. وهي أهداف تقع نظرياً تحت حماية الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبار أن تلك المناطق غير الشيعية تتبع قوى سياسية حليفة لها (قوى 14 آذار). وبمرور الوقت يتحول القصف التكتيكي بدوره إلى عمل مكلف من الناحيتين المادية واللوجيستية. فمن الناحيتين يصبح استهداف السيارات على الطرقات باهظ التكلفة (أخذت الطائرات الإسرائيلية تقصف حتى الدراجات النارية)، لأنه لا يقدم أي مردود ذا قيمة، ما عدا تهديد الحركة على الطرقات وهو تهديد لا ينصاع له الخصم بأي حال، ذلك أنه سيتحرك كلما احتاج إلى الحركة. وقد شرعت القوات الإسرائيلية في التدمير المنهجي للقرى والبلدات بالقصف الجوي و المدفعي وبالعبوات الناسفة على أيدي المشاة. ومن جهة أخرى يؤدي تدمير ما تبقى من المنازل في القرى الجنوبية إلى حالة يصبح فيها عبئاً دبلوماسياً وإعلامياً بجعل الموقف الإسرائيلي صعبا في العالم.

العمليات التلفزيونية

في الأسبوع الماضي، قام أكثر من 100 جندي محمولين على طائرات هليوكوبتر وبغطاء جوي كثيف بالهجوم على مستشفى في البقاع وقتلوا مواطنين أبرياء واختطفوا خمسة منهم في عملية تلفزيونية مصورة، أرادت إسرائيل من خلالها استعراض (يدها الطويلة) التي طالما تم التطبيل لها إعلامياً. وهذه العملية والعمليات الشبيهة بها كالتي تمت في صور، هي من النوع التلفزيوني التافه، بشهادة الخبراء. فلا أهمية استراتيجية أو تكتيكية لها بالمعنى العسكري. ولكنها تظهر مقدار اليأس الذي أصاب القيادة الإسرائيلية، وحاجتها إلى عمليات تلفزيونية دعائية تخفي وراءها عجزها وخيبتها. وعقب الهدنة الجوية التي دامت 48 ساعة في الأسبوع الماضي، قام رئيس وزراء إسرائيل أيهود اولمرت في مقابلات تلفزيونية، وفي حفل تخرج إحدى الدفعات العسكرية، باللجوء إلى الكذب المفضوح، وتحدث عن نجاح إسرائيل في تدمير البنية التحتية لحزب الله. وقد جاء رد حزب الله مزلزلاً في اليوم التالي، فور انقضاء الهدنة، عندما انهمر ثلاثمائة صاروخ على الأراضي المحتلة، من الشمال إلى الوسط. حيث طاول القصف الصاروخي ما بعد حيفا، في بيسان في وادي الأردن، وجنين في شمال الضفة الغربية، وقد نالت العفولة أيضاً نصيبها. وكان هذا القصف الصاروخي يوم الأربعاء الماضي الأكبر من نوعه منذ بداية الحرب سواء من حيث العدد أو النوعية أو الأهداف، وسبب إحراجاً كبيراً للقيادات الصهيونية السياسية والعسكرية وفضح أكاذيبها.

من جهة أخرى وفي مقابلة مع محطة الحرة يوم السبت الماضي، قال الكاتب والمحلل السياسي أليف صباغ، وهو من الناصرة من عرب أراضي 48 ان الشبان الثلاثة العرب الذين قتلوا بصاروخ المقاومة اللبنانية في قرية كفرشيحا، قتلوا على بعد 50 متراً من دبابة إسرائيلية كانت تقصف جنوب لبنان. وأضاف قائلاً ان كثيراً من بطاريات المدفعية التي تقصف لبنان، تأخذ مواقعها في قرى عربية أو بجوارها. كما أن هناك مصانع عسكرية ومعسكرات بجوار القرى العربية. وأكمل حديثه بالقول، ان إسرائيل خططت، ومنذ وقت طويل، لاستخدام المواطنين العرب فيها كدروع بشرية.

أهداف القصف الإسرائيلي

من المهم التأكيد على أن القصف الإسرائيلي لم يقتصر على أهداف مدنية شيعية، أو أهداف تخص حزب الله وحده، بل شمل ما يخص كل اللبنانيين وان بدرجة اقل. ولا حاجة للتفصيل فهو معروض بشفافية.

الجهود السياسية

الأمريكيون والأوروبيون يمارسون خداعا فيه توزيع للأدوار للوصول إلى أهدافهم. وقد تدفق على بيروت عدد كبير من الدبلوماسيين، ووزراء الخارجية، طوال الأسبوع الماضي. وكان منهم وزير خارجية مصر، أحمد أبو الغيط الذي ذهب إلى بيروت ليهدد سورية مداورة، باحتمال امتداد الحرب إليها. المسعى الأردني والمصري في بيروت والذي قام به وزيرا خارجية البلدين كان محاولة للضغط على لبنان للموافقة على المشروع الأمريكي الإسرائيلي الخاص بنشر قوات دولية في جنوب لبنان. فيما السعودية تعد لمساع أقوى في هذا الاتجاه عبر مؤتمر للمجلس الوزاري للجامعة الذي عقد في بيروت يوم الاثنين الماضي. دمشق تعرضت أيضاً لضغوط أوروبية في نفس الاتجاه تمثلت بزيارة خافير سولانا منسق السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، ووزير الخارجية الفرنسي. وقد رفضت سورية فكرة نشر قوات دولية في لبنان، كما رفضها وزير خارجية إيران منوشهر متكي ضمناً، عندما قال ان أي قرار يصدره مجلس الأمن لن يطبق إلا بموافقة كافة الأطراف، في إشارة واضحة إلى حزب الله الذي رفض على لسان أمينه العام أي وقف لإطلاق النار طالما بقي جندي إسرائيلي على أرض لبنان. كما رفض أي شروط تفرض على لبنان ضمن قرار وقف إطلاق النار. حزب الله أعلن صراحة أنه متأهب تماماً لخوض حرب تستمر عاماً وأنه ليس مستعجلاً على وقف لإطلاق النار بشروط مذلة.

احتمالات توسع الحرب

مشروع القرار الذي يقال ان الفرنسيين والأمريكيين قد توافقوا عليه، يبدو محاولة لتحقيق الأهداف الإسرائيلية. وقد رفض حزب الله معظم بنوده، وأعلنت الحكومة اللبنانية تمسكها بمشروع السنيورة ذي النقاط السبع. وفي حالة استمرار الحرب فقد تجد سورية أن الوضع مؤات للتدخل لاستعادة أراضيها المحتلة، أو قد تجد إسرائيل في الهجوم على سورية مخرجا من الحرج الذي تسببه لها المقاومة العنيدة. وفي كلتا الحالتين، فإن الحرب ستمتد إلى الخليج لتلف المنطقة بأكملها. الطريق الوحيد لتفادي هذه الاحتمالات، هو موقف عربي موحد يضغط على الولايات المتحدة لإيقاف هذه الحرب قبل إن تتسع. وهو احتمال وارد نظرا لتعاظم المخاطر مع كل يوم يمر.

المؤامرة الثلاثية

أعلنت مجلة «نيوستيتسمان» البريطانية في عددها الصادر الخميس الماضي، «إن الحرب مؤامرة ثلاثية بين الولايات المتحدة وإسرائيل وبريطانيا. وأن الخطة كانت قد أعدت قبل سنة وعرضت على رئيس الوزراء البريطاني وأنه وافق عليها». وقد قال السيد حسن نصر الله انه كان مخططاً أن تشن الحرب في موعد أقصاه نوفمبر من هذا العام، في عملية مفاجئة يتم فيها تدمير الضاحية الجنوبية، وقتل قيادات حزب الله بينما هم نائمين، بالتزامن مع اكتساح بري لجنوب لبنان بصورة مفاجئة. وأن الحزب قام بعملية استباقية في 12 يوليو بغرض إفقاد الخطة الاسرائيلية عنصر المفاجأة. والأسوأ من ذلك أن الهجمة الإسرائيلية كان من المخطط لها ان تترافق مع هجمة داخلية من قبل قوى 14 آذار تصل إلى مستوى التطهير العرقي للطائفة الشيعية في لبنان. وفي هذا الصدد يقوم أدمون صعب في مقالته بصحيفة النهار الأربعاء الماضي «ان الأمريكيين قد اطلعوا قبل سنة على خطة الحرب التي أطلق عليها اسم «حرب الأسابيع الثلاثة» وانها تفترض تدمير جزء مهم من البنية التحتية اللبنانية. وان إنهاء حزب الله الذي يحظى بتعاطف مطلق من الطائفة الشيعية يقتضي القضاء على الشيعة، وتمزيق أوصالهم، وربما نفيهم إلى سورية وإيران، نظرا إلى أن المعركة في افقها الأبعد، هي معركة أمريكية إسرائيلية ضد نفوذ سورية وإيران في المنطقة، عبر القضاء على حزب الله في لبنان، وتقليص الدور الشيعي في الشرق الأوسط الجديد، من اجل إراحة إسرائيل، وطمأنة الأنظمة العربية التي يهددها النفوذ الإيراني المتوسع في المنطقة».

زلاّت اللسان

يكاد المريب يقوم خذوني. ففي مؤتمر صحافي لوزير خارجية السعودية سعود الفيصل قال: «في حالة أي عدوان على سورية ستقف الدول العربية مع أي عدوان». وبطبيعة الحال كان يقصد القول بأن الدول العربية ستقف ضد العدوان. أما وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط فقد قال في مؤتمر صحافي في بيروت ظهر فيه عصبياً للغاية: «أن مصر تريد إيقاف وقف إطلاق النار».

التعتيم الإعلامي

هناك تعتيم إعلامي كبير في الغرب على مجريات الحرب وما تتعرض له إسرائيل من نكسات وما ترتكبه من فظائع. ففي كندا احتج المتظاهرون على هذا التعتيم علنا، وفي استراليا اتصل بي صديق يعيش هناك، ليخبرني عن حالة من التعتيم الكامل. ومن خلال متابعتي للتلفزيون البريطاني وكبريات المحطات الأمريكية، فإن الوضع لا يختلف كثيرا، وتغطياتها الهزيلة تتبنى مخرجات الإعلام الصهيوني الحافل بالأكاذيب.

وشهد شاهد من أهلها

كتب يونتان شم-اور في صحيفة معاريف الإسرائيلية يوم 2006/8/2 قائلا:

«إسرائيل خسرت المعركة ولم يعد مهما اذا كان الجيش سيصل الى الليطاني ام لا. خسرنا، لم يعد مهما إذا كان الجيش الإسرائيلي سيصل الى الليطاني، الى الاولي او إلى الفولجا. لم يعد مهما حتى إذا كانوا سيجلبون هنا رأس نصر الله، وبن لادن، وجثة هامان الشرير. فقد انتصروا، ونحن خسرنا... بعد أن فقدنا قوة الردع، كل واحد يمكنه أن يتغوط علينا أي قدر من الصواريخ يروق له».

* كاتب من اليمن

أثر حرب لبنان في المعارضة الوطنية الديمقراطية في سورية

معقل زهور عدي*

■ لنعترف في البداية بوجود تيارين رئيسيين داخل المعارضة الوطنية ـ الديمقراطية، أصبح ضروريا تلخيص وجهة نظر كل منهما للانتقال من مرحلة الغموض والاتهامات الى مرحلة الوضوح والحوار، ويمكن ان يخدم ذلك في وضع تصور لكيفية تأثرهما بالحرب في لبنان.

أولا: تيار اليسار الليبرالي

أهم ما يميز هذا التيار تركيزه المفرط على الوضع الداخلي السوري، ومحاولة تفكيك العوامل الخارجية في خطابه السياسي، بالتالي وضعها في مرتبة ثانوية، وحصر الرؤية السياسية بمسألة الديمقراطية وترحيل ما عداها الى حقبة تاريخية لاحقة.

لكن ذلك لا ينفي وجود رؤية للسياسة الخارجية، فالمسألة هنا تكمن فقط في فصل اجرائي بغرض تخفيض الاضاءة فوق عناوين السياسة الخارجية وتركها كحديقة خلفية متاحة للمناورة.

تستند السياسة الخارجية للتيار السابق الى القناعة بوجود تقاطع بين المطلب الديمقراطي الداخلي وما هو متصور من وجود مطلب ديمقراطي للولايات المتحدة الأمريكية (ظهر بعد ايلول ـ سبتمبر 2001) تعمل على تحقيقه في المنطقة العربية، دون ان يعني ذلك بالضرورة تأييد السياسة الأمريكية كما هي عليه في العراق والمنطقة العربية. المسألة هنا تعرض كاستفادة من تقاطع موضوعي والسعي لاستثماره من أجل انجاز المهمة الديمقراطية.

يعطي تيار اليسار الليبرالي أهمية لوجود (مجتمع دولي) يدفع باتجاه نشر الديمقراطية، ودورا ايجابيا للاتحاد الأوروبي يمكن الاستناد اليه حين يتعثر الدور الأمريكي وتتفاقم ردود الأفعال الشعبية ضده.

يجد الخطاب السياسي لتيار اليسار الليبرالي سهولة في ترحيل أي مقاربة لمسألة الصراع العربي ـ الصهيوني الى ما بعد انجاز المرحلة الديمقراطية، وكذا الحال بالنسبة للمسألة الاجتماعية.

هنا ثمة محاولة لفصل المسألة الديمقراطية وتعظيمها ووضعها في تراتب زمني تسلسلي، بحيث يصبح التعاطي مع المسائل الأخرى خلفها وليس معها في وقت واحد.

ينكر تيار اليسار الليبرالي وجود مشروع للهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية، وفي أفضل الحالات يعتبر وجود مشروع كهذا جزءا من المعطيات الجيو ـ سياسية التي لا يمكن مواجهتها في هذه المرحلة الموصوفة بمرحلة الانجاز الديمقراطي.

(القول بمقاومة مشروع الهيمنة الأمريكي يضعنا في مواجهة خصمين في وقت واحد الاستبداد والخارج هكذا تستحيل المسألة وتصبح ضربا من الرومانسية السياسية، الحل: مهادنة الخارج ومواجهة الاستبداد في الداخل) ذلك هو منطق اليسار الليبرالي.

في السياسة العربية يحاول اليسار الليبرالي شق طريق صعب بين تقييم ايجابي لنهج محمود عباس ومراعاة الابتعاد عن مواجهة علنية مع تيار المقاومة متمثلا في حماس، اما في لبنان فهو أقل حذرا في اظهار تعاطفه مع قوى 14 آذار التي ذهبت شوطا بعيدا في التنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبخصوص العراق لا يخفي التنكر للمقاومة العراقية واثارة الشكوك حول طبيعتها ومشروعيتها.

يطرح تيار اليسار الليبرالي سقفا خطابيا أعلى في معارضة النظام، بغض النظر عن نتائج ذلك وجدواه وهل استفادت منه المعارضة في التقدم نحو الأمام أم أنه أسهم في تراجعها نحو الخلف.

أخيرا يتصور تيار اليسار الليبرالي أنه المعبر الشرعي عن المعارضة الوطنية الديمقراطية، فهو لا يرى هامشا بين المعارضة متمثلة بخطه الفكري السياسي وبين معسكر النظام.

ثانيا: التيار الوطني ـ الديمقراطي

يستند التيار الوطني الديمقراطي الى فكرة اندماج المهمات الثلاث الوطنية ـ القومية، الديمقراطية، الاجتماعية، ونفي أية امكانية للفصل بينها في تسلسل تاريخي مزعوم.

وتأتي في مرتبة بارزة فكرة الانحياز لخط مقاومة مشروع الهيمنة الأمريكي ـ الصهيوني على المنطقة العربية وبناء علاقة استراتيجية مع قوى المقاومة في العراق وفلسطين ولبنان.

الديمقراطية كما يفهمها هذا التيار هي ديمقراطية المشاركة الشعبية الواسعة التي لا تنحصر بالتمثيل البرلماني وهي ديمقراطية وطنية مناقضة للديمقراطية الطائفية وفق النموذجين العراقي واللبناني.

الديمقراطية هنا ليست مهمة تاريخية مقطوعة الروابط بالمهمات الأخرى الوطنية ـ القومية والاجتماعية، ولكن مندمجة مع تلك المهمات في سياق تاريخي واحد.

لا يرى التيار الوطني ـ الديمقراطي أي تقاطع مع الاستراتيجية الأمريكية للهيمنة على المنطقة العربية بل صراع متصل معها، صراع ذو أشكال متعددة، بعضها عنيف وبعضها سياسي وبعضها ثقافي ـ فكري، بالتالي فانجاز المهمة الديمقراطية لا يمكن ان يتم خارج هذا الصراع بل داخله، وليس بالتقاطع مع استراتيجية الولايات المتحدة بل ضدها بالضبط.

ينظر التيار الوطني الديمقراطي الى عملية التحول الديمقراطي باعتبارها مسألة تحول مجتمع وليس مسألة تغيير سياسي فقط، لذا فالتركيز الرئيسي لديه هو على مطالب ديمقراطية تسهم في بناء قوى اجتماعية داخلية تحمل مسؤولية التغيير دون أي تقاطع مع أجندات خارجية، ويرى هذا التيار أن العمل في ضوء التقاطع مع أجندات خارجية منزلق خطر يدفع نحو رهانات سياسية ضارة. فالخارج الفاعل سياسيا في المنطقة هو سياسة الولايات المتحدة وحلفائها والسياسة الأوروبية التي تزداد تبعية لها، أما الخارج الوحيد الذي يمكن التقاطع معه فهو خارج الحركات التحررية والشعبية، خارج المنظمات المدنية المستقلة غير الخاضعة لتمويل الدول والاحتكارات العالمية، وبالتالي فهو الخارج الذي يعمل بوضوح ضد سياسة الهيمنة الأمريكية ومشروعها الشرق الأوسطي.

ينظر التيار الوطني ـ الديمقراطي الى العلاقة مع التيارات الأخرى داخل المعارضة بوصفها خاضعة للنقد، فوعي الفرق بين الخطوط السياسية وتميز الخط الفكري ـ السياسي للتيار الوطني ـ الديمقراطي هي أمور لا يمكن المساومة عليها.

مسألة التحالف هي في جوهرها مسألة تكتيكية هدفها حشد الجهود من أجل انتزاع المطالب الديمقراطية وترسيخها، لكن ذلك لا يمكن ان يوجد على حساب المسائل المبدئية وعبر طمسها وتمييعها.

الموقف من الحرب في لبنان:

منذ البداية أظهر تيار اليسار الليبرالي تحفظا على الوقوف مع المقاومة اللبنانية وميلا حذرا للأخذ بوجهة نظر قوى 14 آذار في تحميل حزب الله مسؤولية (توريط) لبنان في حرب شاملة، وقدمت التحليلات السياسية التي تفسر ما جرى بوصفه صراعا بين محاور اقليمية ودولية، وبسبب موجة التعاطف الشعبي الواسع في سورية مع المقاومة فقد تراجع اليسار الليبرالي قليلا دون ان يغير في جوهر موقفه.

في المقابل وقف التيار الوطني الديمقراطي منذ بداية الحرب بوضوح ودون تحفظ مع المقاومة اللبنانية معتبرا أنها تخوض معركته ضد مشروع الهيمنة الأمريكي ـ الاسرائيلي في لبنان.

ما بعد الحرب على لبنان:

من المبكر وضع تصور لانعكاس الحرب في لبنان على الساحة السورية، والمسألة في أحد جوانبها مرتبطة بالنتيجة التي ستنتهي اليها تلك الحرب مما لا يبدو واضحا في الأفق الآن.

مهما بلغ حجم التدمير الذي تتعرض له البنية التحتية في لبنان، والخسائر البشرية، فان وقف اطلاق النار دون ان تتمكن اسرائيل من فرض شروطها المعلنة للحرب سيشكل انتصارا سياسيا ومعنويا للمقاومة، ويضع تيار قوى 14 آذار في موقف الطرف الأضعف، وسيستتبع ذلك انحسار النفوذ الأمريكي والفرنسي عن لبنان، وهو أمر لا يمكن لتلك الدول التسليم به بسهولة، من أجل ذلك فالمرجح ان يستمر الصراع بأشكاله المختلفة السياسية والديبلوماسية والعنيفة، وسيؤدي استمراره لتغييرات في البيئة السياسية اللبنانية يصعب التنبؤ بها.

لا يمكن ان يستمر الصراع في لبنان فترة طويلة دون ان يمتد خارجه وبالتحديد باتجاه سورية.

لنلخص: الفرز السياسي داخل المعارضة الوطنية الديمقراطية في سورية يتعمق في ضوء الموقف من المقاومة اللبنانية والحرب الدائرة في لبنان، واليسار الليبرالي ما زال بعيدا عن الوقوف الى جانب المقاومة اللبنانية، متقاطعا بذلك مع الموقف العربي الرسمي، وما لم تتم مراجعة ذلك الموقف فسيكون من الصعب جسر الفجوة بينه وبين التيار الوطني ـ الديمقراطي حين تضع الحرب أوزارها في لبنان.

* كاتب من سورية

من وحي المواجهة بين إسرائيل وحزب الله

يحيى اليحياوي*

■ من المبالغة حقا الزعم بأن ما يجري منذ الثاني عشر من تموز (يوليو) الماضي بين إسرائيل وحزب الله هو حرب بالمقاييس العسكرية المعروفة حتى وإن جر لبنان (وإسرائيل أيضا) ليغدوا ساحة حرب ودمار بامتياز وإن بدرجات متباينة:

ـ فحزب الله ليس جيشا نظاميا تمنحه الصفة إياها إمكانات اقتناء الدبابات والمدافع والطائرات ليواجه بها دولة كإسرائيل تغرف من سوق السلاح ما تشاء وتطور بمختبراتها العسكرية ما تشاء وتصدر منه الشيء الكثير لحلفائها وزبائنها بهذه الجهة من العالم أو تلك.

ـ وحزب الله لا تسري عليه، منطقيا على الأقل، «الأخلاقيات العسكرية» المعتمدة في الحروب التقليدية، ولا تعتبر مغانمه من الأسرى مغانم حرب ولا أسراه أسرى حرب ولا يخضع من هنا، ومن هنا على الأقل، للمواثيق والأعراف الدولية الملاحظة زمن الحروب.

هو تنظيم سياسي بفصيل عسكري، راهن منذ نشأته بثمانينات القرن الماضي ولا يزال، على حرب عصابات تعتمد الكر والفر وحرب الاستنزاف ويراهن بالمدى المتوسط والطويل، على جني ثمار ما أدركه عمليا بأرض الواقع أو على مستوى ساحة القتال.

ـ وهو، فضلا عن كل هذا وذاك، صاحب مشروع تحريري اثبته بجدارة منقطعة النظير في ايار (مايو) من العام 2000 وشد عليه بالنواجذ لاستكماله باسترجاع مزارع شبعا واسترداد مقاومين له أسروا في خضم ذلك، أو مواطنين متعاطفين معه اختطفوا من قبل ذلك من بين جدران منازلهم أو من بين ظهراني المساجد والحسينيات وما سواها.

وهو، في صلب ذلك، وطني السيرة، براغماتي التوجه، مرن السلوك، شارك في الانتخابات وقبل بالاستوزار ورضي بمبدأ الحوار الوطني الذي من شأنه (نظريا على الأقل) تحديد حاضر سلاحه ومستقبله.

وإذا كان من الوارد، ومن الطبيعي أيضا يقول البعض، المزايدة على الحزب واعتباره دولة داخل الدولة، يأتمر بأوامر الأجنبي (الإيراني والسوري في الغالب الأعم) ويرتهن لفائدته على حساب الدولة والحكومة الشرعية قرارا السلم والحرب، فإنه من الضيم حقا غض الطرف عن بعض المعطيات التي توحي بها مكانة الحزب أو يتحفظ من طروحاتها أو يتجاوز عليها سيما بجهة خمس قضايا لا نعتبرها مادة مزايدة كبرى:

ـ فالحزب تنظيم سياسي وعسكري لم ينازع السلطة المركزية صلاحياتها ولا تجاوز على اختصاصاتها ولا رفع السلاح يوما بوجهها، بل ارتضاها كسلطة وارتضته كحركة مقاومة وتشاركا معا في الحكم... لا بل ترك أمر المفاوضات على تبادل الأسرى (في أعقاب أسر الجنديين الإسرائيليين) للحكومة المركزية وفوض رأس الجهاز التشريعي أمر النطق باسمه بهذا الأمر وبغيره، وقبل بمبدأ نشر الجيش اللبناني بالجنوب وبسط سلطانه على مجمل تراب الوطن بعد ما يناهز شهرا من المقاومة الملحمية لم يغنم في ظلها الإسرائيليون إلا ببعض التلال أو الهضاب أو مرتفعات الجبال.

كيف إذن القول بأنه دولة داخل الدولة وأجندته «خارجية» والأوامر تأتيه من الغير؟ كيف القول بذلك وهو ملتزم بميثاق حكومي وله نواب كثر من التجاوز حقا الطعن في صدقيتهم أو مصداقيتهم؟ كيف الإشارة إليه بصفة المغامرة وقد صرح بأكثر من مرة بأنه لن يعدم السبل في استرجاع الأسرى وتحرير مزارع شبعا؟

ـ والحزب لم يدع يوما أنه يحارب عوضا عن الأمة أو بالنيابة عنها، بل بنى مشروعه وأدبياته (وبالإعلام أيضا) على تقاطع أهدافه بأهداف الأمة واعتبر انتصاراته نصرا لها وانكساراته انكسارا لها وانطفاء شمعته من انطفاء شمعة من شمعات الممانعة النادرة أصلا من بين ظهراني الأمة.

وعلى هذا الأساس، فهو لم يكن ينتظر منها، أو من بعض مكوناتها تحديدا، دعمه أو إسناده في مواجهته لإسرائيل، بل كان يراهن (وهو العارف بضعف الأمة وهوانها وتواطؤ العديد من نظمها) على صمتها وعلى استبعاد سلوك عدم المزايدة على ما يقوم به ما دام في غنى عنها جملة وبالتفصيل.

ما السر إذن في تسابق العديد من ركائز النظام العربي الرسمي للطعن فيه من الخلف والتساوق مع ما تقوم به إسرائيل وما تتوجه أمريكا بجهة إقراره؟ ما الآية من سكوت النظام إياه على تدمير بلد بأكمله كما لو كان ذلك أضعف قربان يقدم لإسرائيل مقابل تقويض الحزب... على أن يتكفل المال العربي فيما بعد بترميم ما تم تدميره مقابل ذات التغييب؟

ـ والحزب أكد